إلى الكتاب الإسلاميين [1]

آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي
قدس سره

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين

يقوم الكاتب الإسلامي بأداء دور كبير في المجتمع الإسلامي فهو أداة الوعي الديني والسياسي والثقافي في الأمة، وبه تناط مسؤولية تعبيد الطريق وإزالة العقبات والتراكمات التي قد تحول دون تقدّم الأمة، ولأهمية هذه الشريحة الاجتماعية فقد قمت بوضع هذا الكتاب الذي سجلت فيه بعض الملاحظات التي توصلت إليها عبر مطالعات مكثفة في الكتاب والسنّة وفي التاريخ وعبر تجربتي الذاتية ومن علاقتي الطويلة مع الكتّاب ومن تجارب الآخرين من الكتّاب الإسلاميين الذين أعرفهم عن قرب.

وتأتي كتابة ونشر هذا الكتاب في وقت عصيب، بل في وقت شديد الظلمة لم يشهد التاريخ الإسلامي ظلاماً مثله، حيث أصبح كل شيء بيد غير المسلمين بعد أن كان كلّ شيء بأيديهم، فقد بلغ التأخر والانحطاط في حياة المسلمين أن أصبحوا يحتاجون إلى الغرب حتى في أكلهم وشربهم وملبسهم ومركبهم، وباتت أفواه أطفالنا محشوة بالحليب الذي يصنعه الغرب، وعندما يموت كبارنا يموتون وفي أفواههم أسنان مصنوعة في الغرب.

أما في مجال السياسة والاقتصاد والتربية والإعلام والجيش والسلاح فقد أصبحوا أشدّ تبعية للغرب.

وقد حدث جميع ذلك لسببنا ومن أيدينا لأن الله لا يريد منّا التأخر بل يريد منّا التقدّم الدائم ـــ وما الله يريد ظلماً للعباد(١) ـــ.

---

(١) ملاحظة: أخذنا نص هذا الكتاب من الانترنيت موقع الإمام الشيرازي قدس سره، ولابد من مطابقته مع الأصل المطبوع للتأكد من سلامته وعدم التغيير والحذف والتبديل فيه.

وفي هذا الكتاب نحاول أن نضع أيدينا على العلاج بعد أن اكتشفنا المرض.

والعلاج هو بالطبع، نشر الوعي، ورفع مستوى ثقافة الأمة، ولكن كيف ؟ ومن يقوم بهذا العلاج، وما هو دور الكتاب في نشر الوعي ؟

هذه الأسئلة وغيرها نحاول أن نطرحها ونضع أجوبتها أيضاً.

يقوم الكاتب الإسلامي بدور كبير في تنمية ثقافة المجتمع ورفع مستوى وعيه الديني والسياسي، لقد كتبوا كثيراً في العبادات وهو شيء حميد والحمد لله لكن القليل من الكتّاب من نذر نفسه للموضوعات الحية التي هي مثار اهتمام الناس، فكان يفترض أن يهتم كتّابنا بالمشاكل الراهنة ويجدوا لها علاجاً.

وقد حاولت في هذا الكتاب أن أوجّه أنظار أخوتنا الكتّاب إلى بعض الموضوعات الهامة التي يجب الاهتمام بها والكتابة عنها وتركيز الوعي حولها، من خلال الكتب والكراسات والجرائد والمجلات والمنشورات واستخدام الوسائل الحديثة، في نشر الوعي مثل الإذاعة والتلفاز والأشرطة وأخيراً الانترنيت.

وهذه ليست إلاّ خطوة واحدة في طريق تقدم الأمة وبلوغها لمآربها في الاستقلال وفرض سيادتها على أراضيها وثرواتها، ثم يأخذوا بأيدي العالمين إلى طريق الهدى والصواب، والله الموفق وهو المستعان والحمد لله ربّ العالمين.

محمد الشيرازي

١ ــ إشارة إلى الآية القرآنية ٣١ من سورة غافر (وما الله يريد ظلماً للعباد).

قوانين لابد منها

الأحزاب الحرّة

ليس المقصود بالأحزاب هنا، الأحزاب الهدّامة كالحزب الشيوعي مثلاً والأحزاب المحاربة للديـــن أو المخالفة للشريعة، بل المقصود من الأحزاب هنا: الأحزاب الإسلامية المعتدلة التي تنبذ العنف والأحزاب الوطنية التي تعمل من أجل تقدم الأمة الإسلامية. فهذه الأحزاب يجب أن تتكوّن وأن تتوسع وأن تمنح الحرية الكافية للعمل في وسط الأمة.

من هنا فإن من مسؤولية الكتاب أن يتصدوا للكتابة عن هذا المحور المهـــم لأنه سيفتـــح الطريـــق أمـــام الأمة، وينقذها من الاستبداد والديكتاتورية المقيتة بمختلف أشكالها وألوانها مما ابتلى به العالم الثالث غالباً وأكثر البلاد الإسلامية.

أليست الحرية من العقل ومن الإسلام وقد أشار القرآن إلى ذلك في وصفـــه لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (يضع عنهم إصرهم والأغـــلال التي كانت عليهم)(١). ففـــي هذه الآية الكريمة إشارة واضحة إلى مسألة الحريات. وإذا ما نظرنا إلى البلاد التي تقدمت نجد أنها لـــم تتقـــدم إلاّ بالحرية، وقد تقدم المسلمون لأنهم آمنوا بالحرية الإسلامية، تلك الحريـــة التي تحـــدد بحدود الأحكام الإسلامية، وقد استطاع المسلمـــون أن يمتلكوا الشرق والغرب ويفرضوا سيادتهم على العالـــم بأسره لأنهـــم أخذوا بمبدأ الحرية السياسية وكان للتجمعات الإسلامية الحرية الكافية.

واليوم إذا أردنا التقدم فعلينا أن نكرِّس عوامل التقدم في أنفسنا، وعلى رأس هذه العوامل بالطبع هو الحرية الإسلامية، فحريٌّ بالكتّاب الإسلاميـــين الذي كتبـــوا عـــن كلّ شيء وتناولوا في دراساتهم كل المواضيع الإسلامية حريٌّ بهـــم أن يتناولوا موضوع الحكم الإسلامي الذي أصبح منسيّاً وأن يتناولـــوا الحريّات التي أصبحت في خبر كان، وأن يكتبـــوا حـــول الأحزاب الحـــرة كي تنتعش التجمعات الدينية والوطنية لتأخذ طريقها فـــي العمل الصالح، ولكي تعرف منـــزلتها وأدوارها في الحياة، ولكي تدرك الأمة أن الحرية حقٌ من حقوق كل تجمع خير، لابدّ من ضمانه وإعطائه، فكما ليس من

الصحيح أن نعدّ أطباء لمعالجة مرضى القلب وننسى المصابين بأمراض العين والكبد كذلك ليس من الصحيح أن يترك الكتّاب الإسلاميين الكتابة حول الأحزاب الإسلامية الحرّة ويكتبوا فقط في الموضوعات الإسلامية الأخرى كما هو حاصل اليوم.

من هنا فأنا أناشد أخوتي الكتّاب الإسلاميين أن يتحسّسوا المشاكل الإسلامية وأن يكتبوا برؤية ثاقبة عن هذه المشاكل، وأن يضعوا نصب أعينهم كيفية إنقاذ الأمة من المشاكل العالقة في حياتهم وذلك بالاهتمام بصورة مركّزة بموضوع الأحزاب الحرة التي هي المفتاح لأي تقدّم في حياة الأمة.

١ ــ سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

شورى المرجعية

أصبحت مشكلات المسلمين من الكثرة والتعقد بحيث يصعب على فريق واحد أو جهة واحدة التصدي إليها وحلها حلاً جذرياً.

من هنا جاءت دعوتنا إلى الأخذ بمبدأ شورى المراجع فهي الأقدر على حل معضلات الأمة ومواجهة الصعاب التي تعتري طريقها.

وإذا نظرنا إلى كثافة الأعداء ومـــا يمتلكونه من قوى مادية عظيمة لعرفنا أهمية الأخذ بشورى الفقهاء كهيئة قيادية.

قرأت في تقرير أن أجهزة المافيا في الاتحاد السوفياتي السابق تتألف من (٥٠) ألف شخص ولها من المؤسسات والأجهزة الشيء الكثير جداً، من جملة ما تمتلكه هذه الأجهزة (٤٠٠) بنك منتشر في أطراف وأكناف الاتحاد السوفياتي ـــ السابق ـــ.

أما قوّة المسيحية العالمية فتتجلى في عدد مبلغيها البالغ أربعة ملايين وكلّهم مجهّزون بالوسائل التي تتيح لهم المقدرة على التبليغ، وقد بلغ عدد مؤسساتها في أفريقيا فقط مليون وخمسمائة ألف مؤسسة، وإذا قارنّا بين هذا الرقم وعدد سكان أفريقيا البالغ (٥٠٠ مليون نسمة) لأدركنا حجم هـــذه المؤسسات، ويذكر أن عدد الراهبات في القارة الأفريقية زهـــاء (١١٠) ألف راهبة فإذا أضفنا إلى هذا الرقم أحجام أخرى من المؤسّسات الأخرى التي تقودها الماسونية العالمية والصهيونية الدولية والبهائيـــة والقاديانية لازدادت المسؤولية ولتضخمت المشاكل والموانع التي تقف بوجه الإسلام.

والسؤال الذي يبـــدو وجيهاً عند استعراض قوة الأعداء، هو هل يمكـــن لقـــوة فردية أن تواجه هذا الكم الهائل من الأعداء وان تدخل المعركة لوحدها.

لقـــد بلغ عدد المسلمـــين اليوم حسب ما رأيت في بعض الكتب حوالي المليارين، وهم يشكلون ثلث عدد سكان الكرة الأرضية، فهل مـــن المنطق أن يتولـــى فردٌ واحد قيادة هذا العدد الهائل من سكان المعمورة ؟ وهل من الممكن إدارة هذا العدد من المسلمين بأجهزة غير منتظمة وغير متعاونة ؟

فمن يؤمـــن بمثل هـــذه الأفكار فليأت بمثال واحد لأمة انتصرت بالفوضـــى، وحققت أهدافها بقيادات فردية تعتمد الوسائل والطرق الفردية في العمل.

من هنا يفترض في كتّابنا الأعزاء أن يكتبوا في هذا الجانب الحيوي مـــن حياة الأمة، وأن يتناولوا هذا الموضوع الأساسي في تقدم الأمة بصـــورة واسعـــة ودقيقة، وأنّ يذكروا في كتاباتهم الأدلة والعبر التي يمكن الاستناد إليها في البرهنة على صحة شورى الفقهاء تاريخياً وفقهياً وواقعياً.

ففي المنظار التاريخي يذكرون مضار الحكومات الفردية، وما لحق الشعوب الإسلامية من أخطار الاستبداد والديكتاتورية نتيجة التسلط الفردي.

وفـــي المنظار الفقهي يذكرون أدلة الشورى وأدلة العمل الجمعي وأفضليته على العمل الفردي.

وواقعياً يذكـــرون سبب تقـــدّم الغرب الذي يعتمد على القاعدة الجماعية ويعتبر الحس الفردي حساً غير حضاري.

رفض الاستبداد

الذيـــن يرفضون الأحـــزاب الحرّة ماذا يفكرون حول البديل؟ هل يريدون بديلاً ديكتاتورياً؟ بالطبع ليس هناك بديل آخر للأحزاب الحرّة سوى الحكم الفردي الذي يؤدّي إلى الاستبداد.

وكلنا يتذكـــر أبيات ابن هاني الأندلسي التي قالها في الحاكم بأمر الله :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فأحكم فأنت الواحد القهّار

وهذه هي لغة السلطة الفردية، فالسلطة تؤدّي إلى الطغيان وقد قال مونتسكيو أنّ السلطة مفسدة وقبله قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (من استبد برأيه هلك)(١). فالفردية تؤدي إلى عبادة الذات وإلى الاستبداد وهذا هو الطريق إلى الهلاك. فهل يريد أولئك الناس الذين يرفضون الأحزاب الحرّة هل يريدون الاستبداد حاكماً في بلادهم ؟

أيهما أفضل (فأحكم فأنت الواحد القهّار) أو انتخاب الشعب للرئيس عبر مجالس نيابية ؟

أيهما أفضـــل أن يكون الرئيس رئيساً حتّى يوضع في قبره، أم أن يحكم كل أربع سنوات ثم ينتخبه الشعب إذا أحسن خلال هذه المدّة أو يرفضونه إذا تقاعس عن أداء واجباته وبرز من هو أفضل منه.

ماذا يريد هؤلاء، هل يريدون حاكماً يفعل ما يشاء، ولا يستطيع أحـــد أن يقول له كلمة واحدة أم حاكماً يستطيع أن يحاسبه أبسط إنسان وحتى يسقطه إذا عجز عن أداء وظيفته ؟.

لربما تعلّل الرافضون لفكرة الأحزاب الحرّة بعدم إمكانية تحقّق ذلك في الواقع العملي، فنجيبهم أننا شاهدنا تجارب كثيرة في بلاد عديدة من العالم، طبقت هذه النظرية ونجحت في التطبيق. فلماذا لا نسعى لتطبيقها فـــي بلادنا الإسلاميـــة، فهل هناك فرقٌ بين الإنسان المسلم والإنسان الغربي ؟

بالعكس فإنّ أرضية الإنسان المسلم لتقبل فكرة الحرية أقوى بكثير من الإنسان الغربي لأن المسلم يمتلك ديناً يدعوه إلى الحرية، ويطلب منه التحرّك بينما الإنسان الغربي لا يمتلك هـــذه الأرضية للفكرة، إذ الكنيسة هي قيد يقيّد الإنسان عن التفكير.

ولربّما تعلل بعض الرافضـــين للفكـــرة بصعوبات الوسائل المتاحة لتحقيق هذه الغاية.

فـــي الجواب نقول أنّ الوسيلة الممكنة للوصول إلى الأحزاب الحرّة هي مـــن أبسط الوسائل وهي نشر الوعي والثقافة عبر اللسان والقلم والوسائل السمعية والبصرية.

إذن لا مجال لمن ينكـــر الشورى والحرية إلاّ أن يقرّ بالبديل الآخر وهو الفوضى والاستبداد.

فهل الاستبداد أفضل أم مجالس الشورى؟ فإذا قيل الأول فإن ذلك خلاف العقل والشرع، وإن قيل الثاني قلنا لماذا لا نسعى لتشكيله.

وإذا قيل لا سبيل لنا إلى ذلك ! قلنا السبيل هو الضغط الاجتماعي وتوجيه الرأي العام.

فالرأي العام يفرض علـــى أفراد الأمّة أحاسيس مشتركة، ومن ثم مواقف مشتركة، فإذا تمكنا من التأثير في الرأي العام فإنّنا سنستطيع مـــن إصلاح كل شيء، لأن كلّ شيء يسبح في هذا البحر المتلاطم المسمى بالرأي العام.

مـــن هنا تبدأ مسؤولية الكتّاب في توجيه الرأي العام نحو الحقائق الإسلامية الناصعة ومنها رفض الاستبداد والأخذ بشورى المراجع.

١ ـــ غرر الحكم: ص٤٤٣. نهج البلاغة: قصار الحكم ص١٦١، بحار الأنوار: ج٧٢ ص١٠٤ ح٣٨.

الأمة الواحدة

هل نحن اليوم أمة واحدة ؟. أم أمم متفرقة مشتتة مبعثرة القوى كما قال الشاعر :

فتفرقوا شيعاً فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين ومنبر
حدّ لهذي لا يجاوزها إلى ما بعده ولتلك حدٌّ يذكر
وإذا تجاوز حدّه أحد له حدّ الحسام وجلده يتسعر

نحن تفرقنا بعد أن كنّا أمة واحدة فالحدود الجغرافية التي نشاهدها اليوم لا يتجاوز عمرها ثلاثة أرباع القرن، وكان أول من وضع هذه الخطوط الوهيمة (لورانس العرب)(١) البريطاني، وبعد نصف قرن من خدماته لصالح الاستعمار جازاه سيده بأنّ قدمه إلى خشبة الإعدام لئلا يفشي الخبر، وكان أول من طبق الحدود في البلاد الإسلامية رضا خان في إيران، وأمان الله خان في أفغانستان وكمال أتاتورك في تركيا، وياسين الهاشمي في العراق وكلّهم عملاء لبريطانيا، ولم يكتفوا بهذا القدر فقد عمل هؤلاء الشرذمة على تمزيق العالم الإسلامي وتصنيفه إلى فئات وقوميات، فياسين الهاشمي ابتدع قانون الشهادة الجنسية والذي قسّم العراقيين إلى ثلاث فئات وإلى ثلاث درجات.

كما وقام أتاتورك بإثارة النعرة القومية في الوسط الإسلامي في تركيا. وهكذا بقية الشرذمة الغربية التي تسلطت على مقاليد الأمور وأخذت تعمل بوحي من أوامر الغرب في تمزيق الأمة وخلق الفتن مرة باسم الطائفية وتارة باسم القومية. فهم لم يمزقوا العالم الإسلامي وحسب بل مزقوا الشعب الواحد الذي يسكن بلداً إسلامياً.

لقد خسرت الأمة الكثير عندما خسرت وحدتها، لقد كان المسلم يخرج من بيته إلى أي بلد إسلامي يريده دون أن يطالب بأي شيء، أمّا اليوم فقد تغيرت الصورة تماماً، وإنّي لأتذكر جيداً في إحدى سفراتي من كربلاء كنت متوجهاً إلى سامراء فقد لقيت في الطريق الذي لا يتجاوز (٢٠٠) كيلومتراً (٢٦) حاجزاً للمقاومة الشعبية ـــ حيث كانت السفرة أيّام المد الشيوعي ـــ فكانوا يفتشون كل من في السيارة.

وعلـــى أي حال ؛ فعلى كتّابنا الإسلاميـــين أن يكتبوا حول هذا الموضوع الحيوي ويذكروا المسلمين كيف كانوا وكيف أصبحوا وكم خسروا نتيجة ابتعادهم عن اتحادهم ووحدتهم الإسلامية.

كما وعليهـــم أن يكتبوا حـــول الصلاة والصيام وتاريخ الغزوات وأحوال المعصومـــين (صلوات الله عليهم أجمعين) وليكن شعارهم الآية الكريمة: (وإنّ هذه أمتكم أمةً واحدةً وأنا ربكم فاعبدون)(٢).

١ ــ عن تقسيم الحدود الجغرافية فـــي بلاد الإسلام راجع كتاب سبز آباد ورجال الدولة البهية للمؤلفة مي محمد الخليفة.

٢ ــ سورة المؤمنون: الآية ٥٢.

الأخوّة الإسلامية

كانت البشرية قبل الإسلام على أشدّ ما يمكن من الاختلاف فكانت فوارق اللون واللسان والعنصر والجغرافية والقبيلة تفرق بين إنسان وآخر، وعندما جاء الإسلام أزال جميع هذه الفروقات وحمل شعار: (إنّما المؤمنون أخوة)(١)، فكلّ واحد هو أخٌ للآخر مثلاً المسلم الذي يعيش في العراق هو أخ ذلك المسلم الذي يعيش في باكستان وكما يحقّ للباكستاني أن يزور العراق ويشتري أرضاً ومسكناً ويتزوّج من أهلها، كذلك كان من حقه أن يعمل هناك وأن يحصل على أعلى وظيفة كالقضاء وما شابه. هكذا كان حال المسلمين منذ أن صدع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالرسالة حتى قبل نصف قرن.

فهل وضعنا اليوم هكذا ؟

لقد فرق بيننا الاستعمار ووضع الحواجز بين الأخ وأخيه، فالعراقي لا يحق له العمل في باكستان والباكستاني لا يحق له أن يشتري بيتاً في العراق.

والشامي لا يحق له السفر إلى العراق إلاّ بجواز سفر وبشروط خاصة. وهكذا دواليك.

لقد خسر المسلمون الكثير عندما خسروا الأخوة الإسلامية خسروا التعاون الاقتصادي حيث كان باستطاعة المسلم أن يضع يده بيد المسلم الآخر ويبدءا معاً طريق التقدم.

من هنا كان لزاماً على كتّابنا الغيارى أن يشيدوا بالوحدة الإسلامية وأن يذكروا للعالم فوائدها ومضار تفرّق المسلمين اليوم وابتعاد بعضهم عن البعض الآخر.

عليهم أن يدعوا إلى الأخوة الإسلامية وكيف أن الأخوة هي أهم أساس من أسس البناء. فقد آخى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين المسلمين مرتين مرةً في مكّة المكرمة وأخرى في المدينة المنوّرة على تفصيل ما مذكور في التاريخ.

واستطاع أن يحقّق بهذه المؤاخاة قفزة نوعية في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في المدينة المنوّرة.

١ ــ سورة الحجرات: الآية ١٠.

اللاعنف

ورد لفظ اللاعنف مرتين في الروايات الشريفة، إحداهما عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (من علامات المؤمن اللاعنف)(١)، والأخرى عن الإمام الصادق (ع): (من علامات المؤمن اللاعنف)(٢)، كما وردت عشرات الروايات التي تحض على (الرفق) و (اللين) و (المداراة) و... وقبل الروايتين أيّد العقل هذا المبدأ، وينقل عن عيسى (ع) في إحدى كلماته: (إذا ضربت على خدك الأيمن فأعطه خدك الأيسر)(٣).

والكلام في إطلاقه مناقشة، لكن في مجال حديثنا هذا القول دالٌ على اللاعنف وقبل كلّ شيء ورد في كلام الله سبحانه وتعالى: (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة)(٤)، فتحمل الآية دعوة باستخدام الدعاء والصلاة في قِبال استخدام القوة.

وهذه النصوص التي ذكرناها دالة على مبدأ اللاعنف وهي تقرر أن هذا المبدأ هو مبدأ إسلامي نابع من نظرة الإسلام إلى البشرية ونابع من الرسالة المحمدية التي هي رسالة رحمة للبشر فلا تحمل أي جانب من العنف والإرهاب، وفيها خطاب معقول للإنسان إذا لم يكن قادراً على الظالم باستخدام السلاح بوجهه فالمفترض أن يقابله بسياسة اللين والصبر(٥)، وكانت سياسة اللين هي السلاح الذي استخدمه الأنبياء والمصلحون لمقابلة العتاة والطغاة، هكذا كان موسى وعيسى ونوح وإبراهيم (عليهم الصلاة والسلام) وأخيراً نبي الإسلام محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم).

ومن الأمثلة الجديرة بالذكر في النتائج السلبية لسياسة العنف انهيار الاتحاد السوفياتي ــ السابق ــ الذي كان يملك زهاء (ثلاثين ألف قنبلة نووية). كذلك الدول الشيوعية في أوربا الشرقية التي انهارت بسلاح العقل واللاعنف.

إنّ أعداء الإسلام الخارجيين والداخليين كثيرون جداً ويمتلكون أسلحة كثيرة جداً، ولا طاقة للمسلمين لمواجهتهم عسكرياً، فكان عليهم أن يتمسّكوا بـ (يا عدتي

دون العدد ويا رجائي والمعتمد)(٦)، ومـــن مستلزمات ذلك هـــو اتباع سياسة اللاعنف كطريق للانتصار عليهم.

وكان من مسؤولية الكتّاب الإسلاميين تبيان ذلك للأمة ومطالبة أبناء الأمة الاهتمام بهذا الأمر للوصول إلى شاطئ السلام بإذنه سبحانه وتعالى.

١ ـــ بحار الأنوار: ج٦٧ ص٣٦٥ .

٢ ـــ بحار الأنوار: ج٦٧ ص,٣٦٥

٣ ـــ وقد ورد في الأمالي: ص٥١٩: (وان لطم خدك الأيمن فأعطه خدك الأيسر)، وورد في تحف العقول: ص٥٣٢ (ومن لطم خده منكم فليمكن من خده الآخر).

٤ ـــ سورة النساء: الآية ,٧٧

٥ ـــ فإن اللين مربوط بالروح، والعنف والسلاح مربوطان بالمادة والروح أقوى من المادة.

٦ ـــ بحار الأنوار: ج٩٥ ص١٦٢ ح١٥ ب١٠٥.

من أدوات التغيير

فضح أساليب التعذيب

لو فكّر كل كاتب بذلك الإنسان الذي يتعرّض للتعذيب مثلاً في سجون صدام، وانه ينقل من غرفة إلى أخرى ويعذّب أشد تعذيب، لو كان في مكانه ماذا كان سيتوقّع من كتّاب العالم؟ أليس كان يتوقّع منهم أن يتحرّكوا للدفاع عنه وللكتابة عن أنواع التعذيب التي يتعرّض إليها ؟ فإذا كان الأمـــر هكذا فلماذا يبخل الكتّاب عن ذكر الحقائق وتبيانها للعالـــم ووصف ما يتعرّض إليه المضطهدون من أنواع البلاء والمآسي على أيدي الجلادين.

إن ضريبة الحياة الحـــرة التي يعيشها الكاتب هي أن يتذكّر أولئك المقهورين الذين يتعرضون إلـــى شتى أنواع التعذيب والسجن والقهر، فالكاتب هو إنسان كبقية البشر ويتحسس لآلام البشر، بل هو أكثر تحسساً لأولئك الذين يدفعون ضريبة عقائدهم في السجون والمعتقلات فأقل مـــا يمكـــن أن يقدّمه لأولئك المضطهدين هو نقل آلامهم عبر السطور وتصوير ما يجري عليهم على صفحات الكتب ليعرف العالم ما يجري عليهم.

إنّ الإنسان مسؤول عن أعماله كما هو مسؤول عن أعمال غيره أيضاً إذا استطاع أن يغيّر اتّجاه أعمال الآخرين، من جانب الشر إلى جانب الخير، وقـــد قال عيسى المسيح (ع): (التارك مداواة الجريح كالجارح له).

أضف إلـــى ذلك فإنّ الإنسان مسؤول عن أعمال المنكرات التي يرتكبها الآخرون فعليه أن ينهى عن المنكر ويحاول أن يجنّب الآخرين من الوقوع فيها.

وربّما استشكل البعض عـــن جدوى الكتابة عن التعذيب، وعن قدرة الكتّاب على منع الطغاة من ممارسة التعذيب ؟

والجواب: الكتابة نافعة كثيراً في هذا المضمار فقد كانت أوربا في يوم من الأيّام يعمها الظلم، وكانت هناك مراكز للتعذيب والنيل من الإنسان، لكن توقّف كلّ شيء على أثر الكتابة المتواصلة فقد كتب كبار المفكرين الأوربيين عن ممارسة الحكومات للتعذيب، ودعوا إلى منح الحقوق الشرعية والسياسية. والآن وبعد مدّة ليست بالطويلة نجد أن دول أوربا أقلعت عن ممارسة هذه الرذيلة بشكل عام، وكذا الأمر في سجون الهند واليابان سابقاً كان يمارس فيها التعذيب على أشدّه، والآن لا نجد تلك الممارسات المخجلة الشنيعة. من هنا كان لزاماً على كتّابنا المسلمين أن يواصلوا كتابتهم حـــول التعذيب وأن لا يصيبهم اليأس من مواصلة الطغاة لنهجهم، فإنّ كتاباتهم ستعطي ثمارها يوماً وستكون سبباً لإنقاذ أرواح مئات الألوف من الناس.

التخويف

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (نصرتُ بالرعب)(١)، فقد كان تخويف الطغاة والجناة من أهم الوسائل التي مكّنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من إيقاف الظلم والفساد وإصلاح الناس وإدخالهم في الإسلام وهكذا كان (الرعب) وسيلة ضد الطغاة لا ضد الشعب، ثم أنه كان (تهديداً) تعويضاً عن التنفيذ ــ في الجملة ــ ولكن كثيراً ما ذكر البعض كلمة الرعب مستدلين بقبول ظاهرة الإرهاب في الإسلام وهنا كان علينا أن نقف وقفة تأمّل مع هذه القضية.

فالرعب الذي استخدمه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان رعب الآخرة بمعنى التخويف من عذاب الآخرة وليس رعب الدنيا بمعنى ذلك الرعب الذي يمتلك الناس من الحكومة الجائرة ومن (زوّار الليل) ومصادرة الحقوق وقتل وتعذيب الأحرار والمفكرين و... هذا أولاً أما ثانياً فقد استخدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أسلوب الترهيب لأنه من انجح الطرق إلى الإصلاح، فالبشرية لا تحركها الرغبة بقدر ما يحركها الخوف والرعب ألا ترى صلاة الظهر الواجبة من تركها أستحق النار لذا وجدنا الجميع يصلي هذه الصلاة أمّا نافلة الليل المستحبة والتي ليس في تركها النار لا نجد من يصليها إلاّ القليل علماً بأن ثمرة كلتا الصلاتين هي الجنة التي فيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين: (ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)(٢).

فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول للناس ويرتل لهم الآية الكريمة: (وَمَن أعرَضَ عَن ذِكرِي فَإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكا وَنحشُرهُ يَومَ القِيامَةِ أعمَى)(٣).

ومن آيات الرعب في القرآن الكريم :

(وإذا أرَدنا أن نهلِكَ قريةً أمرنا مُترفِيها فَفَسَقُوا فيها فحَقَّ عَلَيها القَولُ فدمَّرناها تَدمِيراً)(٤) إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

وعامل الخوف كان سبب هزيمة الفرس والروم وبعض القبائل العربية، وقد دخل الناس في دين الله أفواجاً لأنهم خافوا عقاب الله في الدنيا والآخرة بفطرة أنفسهم والبراهين التي أقامها القرآن الكريم لهم.

لذا كان الواجب على أهل القلم أن يهتموا بهذا الأمر أشدّ اهتمام وأن يستفيدوا من أسلوب القرآن الكريم في إثارة عواطف الخوف من عذاب الآخرة وتحريك مشاعر الفزع مما ستؤول إليه المعاصي من الأمراض والدمار، بغية الإصلاح والتغيير. فعلى هؤلاء الكتّاب أن يذكّروا البشرية في كتاباتهم، ما سوف يلحق بهم من المآسي والويلات إن هم تركوا الفضائل وساروا باتجاه الرذيلة.

١ ــ دعائم الإسلام: ج١ ص,١٢٠

٢ ــ التهذيب: ج٦ ص٢٢ ح٧ ب١٦، من لا يحضره الفقيه: ج١ ص٢٩ ح٢٩٥٠، ج٤ ص١٧ ح١٦ ب,٢

٣ ــ سورة طه: الآية ,١٢٤

٤ ــ سورة الإسراء: الآية ١٦.

الحرية المسؤولة

أتذكر قبل خمسين عاماً وأنا شابٌ في العراق كان كل شيء حراً ومسموحاً به إلاّ المحرمات ــ عند المتدينين ــ فالتجارة والزراعة والصناعة والسفر والإقامة والخطابة والكتابة والطباعة والعمارة وحيازة المباحات وألف شيء وشيء، كلها حراً بمعنى الكلمة فلم تكن هناك حاجة إلى الإجازة ولا إلى الضريبة ولا إلى شروط وقيود إلاّ ما ذكره الإسلام وبينه القرآن الكريم. وكان القانون الساري المفعول في البلاد الإسلامية هو (يضع عنهم إصرَهم والأغلال التي كانت عليهم)(١)، واستمر الحال هكذا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية حيث قويت شوكة الاستعمار بعملائه في البلاد الإسلامية، فذهبت الحرية أدراج الرياح فأصبح السفر غير مسموح به إلاّ بالتأشيرة والإجازة ودفع مبلغ من المال كضريبة على المسافر. وأصبح البناء مقيداً أيضاً بالإجازة حتى بات من يريد ترميم بيت له عليه أن يذهب إلى دائرة البلدية ويستخرج إجازة البناء، ولن يحصل على الإجازة إلاّ بعد عشرين أو ثلاثين إمضاءً وبعد أن يبذل مقداراً من الرشاوى إضافة إلى ما يدفعه باسم ضريبة البناء وحتى من يريد أن يدفن، على ورثته أن يدفعوا الرسوم ويقدموا الطلبات وما شابه ذلك.

لقد جَعَلَنا الاستعمارُ غرباء حتى في أوطاننا وأصبح الغرب المستعمر هو ابن الوطن هكذا سنّ حكامنا القوانين لصالح أسيادهم المستعمرين.

ولازال هذا الموضوع بكراً لم يتناوله الكتّاب بشكل من التفصيل المطلوب وإنّي لأعتقد بأنّه لو تشكّلت لجنة للكتابة حول هذا الموضوع بصورة خاصّة لاتسعت كتاباتهم إلى أكثر من عشر مجلّدات.

من هنا جاءت أهمية الكتابة في هذا الموضوع الحيوي. وليذكّر أصحاب القلم المسلمين وحتى غير المسلمين أنّ الإسلام أصبح قوّة جذب للبشرية عندما منح الحريات فالناس يركضون خلف من يحترمهم ويمنحهم حقوقهم كاملة غير منقوصة.

ونحن على يقـــين تام إذا رجـــع المسلمون إلى الحريات الإسلامية أنفضّ الناس مـــن حول الغرب واتجهوا نحو الإسلام لأنهم سيكتشفون عظمة الإسلام، وسيعرفون أن الحرية التي في الإسلام لا يحلم بها أي إنسان غربي.

فالحرية في الإسلام هي حرية بناء وليست حرية هدم كما هو الحال في الغرب حرية تقدم وليست حرية امتصاص ثروات ودماء الآخرين، حرية ازدهار لا حرية انحطاط إذن الحرية يجب أن تكون مسؤولة.

فالإســـلام يرفض الحريـــة التي تؤدّي إلى الزنا، بما يجر من ويلات وأمراض وتفكك أسري و. . ، وإلى اغتصاب أموال الناس وإلى سرقة الثروات ولا يقرّ هذا النوع مـــن الحرية. فالحرية الإسلامية هي حرية إنسانية. ترفع من شأن الإنسان وتوصله لمصاف الملائكة وهذه نقطة هامة فـــي التعريف بمسلك الحرية، كما وأنّ اللازم أيضاً للكتّاب أن ينبهوا الناس إلى أنّ تطبيق الحرية يلزم التدرّج وإلاّ فإن إطلاقها بدون جدولة زمنيـــة وتحت نظر الخـــبراء ستنقلب إلـــى الضد وتتحوّل إلى فوضى.

كما لابدّ مـــن الدعوة إلى تغيـــير بعض القوانين الناقضة للحرية المشروعة والأخذ بالقوانين الربانية الداعية إلى الحرية المسؤولة ومنها: قانون: (الأرض لله ولمن عمّرها)(٢).

وقانون: (من سبق إلى ما لم يسبق إليه مسلم فهو أحق به)(٣).

وقانون: (الناس مسلّطون على أموالهم وأنفسهم)(٤).

من هنا فإنّ العودة إلى الإسلام لا تتم إلاّ بالتدريج أيضاً فمن غير الممكن أن تقرر الدول رفـــع الحدود بصورة مفاجأة بل يجب أن يتم ذلك بصورة تدريجية لأن إزالة الحدود بين عشية وضحاها ستترك مضار أكثر من المنافع.

وعملية التدرّج تتم عبر هذه الخطوات.

الخطـــوة الأولـــى: إيجـــاد السوق الإسلاميـــة المشتركة ـــ أيضاً بالتدريج ـــ.

الخطوة الثانية: توحيد النقد.

الخطوة الثالثة: تقليص قيود السفر والإقامة.

الخطوة الرابعة: السماح لكـــل مسلم بالتملك في البلد الإسلامي الآخر.

الخطـــوة الخامسة: تقليص التعرفة الجمركية. . كمقدّمة لإزالتها نهائياً.

وقاعدة التدرّج تطبق أيضاً في المجالات الأخرى.

إذ ليس من السليم الانتقال الفجائي إلـــى القوانين الإسلامية دون التمهيد لها.

وإنّما نقـــول بالتدرّج استناداً لقانـــون (لا ضرر) أسوةً بالرسول الأكـــرم (صلى الله عليه وآله وسلم) حيـــث تدرّج في تطبيق الأحكام الإسلامية إلى غير ذلك ممّا ذكرناه تفصيلاً في بعض الكتب الفقهية(٥).

١ ــ سورة الأعراف: الآية ,١٥٧

٢ ــ الكافي (فروع): ج٥ ص٢٧٩ ح٢، الاستبصار: ج٣ ص١٠٨ ب٧٢ ح,٣

٣ ــ غوالي اللئالي: ج٣ ص٤٨٠ باب إحياء الموات ح٤. وسائل الشيعة: ج١٧ ص٣٢٨. مستدرك الوسائل: ج١٧ ص١١١ ب٥، ج٣ ص١٤٩ ب١ ح٤. تهذيب الأحكام: ج٦ ص١١٠ ب٢٢ ح١١. بحار الأنوار: ج٧ ص٣٢٨. سنن البيهقي. وكذا ورد في الكافي (فروع): ج٤ ص٥٤٧ ح٣٣، (من سبق إلى موضع فهو أحقّ به).

٤ ــ (الناس مسلطون على أموالهم) رواية في كتاب بحار الأنوار: ج٢ ص٢٧٢ ح٧، (وأنفسهم) مستفاد من قوله تعالى: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) سورة الأحزاب: الآية ,٦

٥ ــ راجع موسوعة الفقه كتاب الدولة الإسلامية: ج١٠١-١٠٢ للإمام المؤلّف (دام ظله).

الوعي

لا غرو إنّ الأمـــــــــة الساذجة تقع فريـــــــسة المشاكل، وقـــــــد قال الإمام علي (عليه السلام): (العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس)(١)، والوعي يأتي عن طريق كثرة العلم مـــن السمع والبصر والفكر والمدارسة والذكر، لذا ورد: (تفكّر ساعة خيرٌ من عبادة سنة)(٢)، وحتى يمكن القول خيرٌ من عبادة آلاف السنوات، أليس الحر الرياحي رحمه الله بفكرة ساعة اشترى ملايين السنين مخلداً فـــي الجنة كما اشترى الذكر الحميد في الدنيـــا وعكس ذلك فرعون حيث قال سبحانه: (واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين)(٣).

من هنا كان زيادة الوعي أمراً لابدّ منه، ومسؤولية لا نقاش فيها سواء على الكاتب أو غيره، لكن على الكتّاب تقع مسؤولية أخرى بعد زيادة الوعي هي نشر الوعي والثقافة بين الناس.

فقد قال الصادق (عليه السلام): (احتفظوا بكتبكم فإنّكم سوف تحتاجون إليها)(٤). وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (المؤمن إذا مات وترك ورقة واحـــدة عليها علم تكون تلك الورقة يوم القيامة ستراً فيما بينه وبين النار)(٥).

وورد في القرآن الكريم عن إبراهيم الخليل انه واجه الطغاة بالوعي فنقرأ فـــي الآية: (ولقد آتينـــا إبراهيم رشده من قبل)(٦)، فبرشده استطاع أن يحصل على ثلاثة مليارات من البشر محبين ومدافعين له.

هـــذا بالإضافة إلى فوزه بجنة عرضها السماوات والأرض، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

١ ــ الكافي (أصول): ج١ ص٢٦ ح٢٩، بحار الأنوار: ج٦٨ ص٣٠٧ ح٨٤,

٢ ــ مستدرك الوسائل: ج١١ ص١٨٣ ب٥ ح١٢٦٨٩، وورد في مصباح الشريعة: ص١١٣: (فكرة ساعة خير مـــن عبادة سنة) وكذا في غوالي اللئالي: ج٢ ص٥٧,

٣ ــ سورة القصص: الآية ,٤٢

٤ ــ مشكاة الأنوار: ص١٤٢، الكافي (أصول): ج١ ص٥٢ ح,١٠

٥ ــ بحار الأنوار: ج٢ ص,١٤٤

٦ ــ سورة الأنبياء: الآية ٥١.

جمع الناس

أعلى درجات العقل أن يغلب الإنسان على هواه، وينتصر في داخله العقل الجمعي، ومعنى العقل الجمعي أن يُفكّر من منظار المجموع وضمن مصالح الجماعة وليس من منظار الذات، ومصالحه الشخصية وإذا استطاع جمع من الأفراد أن ينزعوا عن أنفسهم الأهواء والشهوات استطعنا أن نوجد قاعدة لوحدة الصف. وقد قال سبحانه وتعالى في وصفه للمؤمنين: (ونزعنا ما في صدورهم من غل)(١).

ولما كانت قضية جمع الناس من الأمور الهامة، ومن مسؤوليات أية رسالة في هذا الكون فكان لابدّ للقيادات الإسلامية سواء القيادات الفكرية أو السياسية من العمل على تحقيق هذه الخطوات.

١ــ الخطوة الأولى: ترسيخ العقيدة والأخلاق فأنهما يجمعان البشرية لأنهما يهذبان الذات ويقلّمان أظافر الهوى، الأمر الذي يؤدّي إلى التقارب بين البشر.

٢ــ الخطوة السياسية فالأهداف المشتركة لها قدرة كبيرة على جمع أكبر عدد من أفراد المجتمع.

٣ــ خطوة التعايش السلمي بين جميع الطوائف والأصناف وجميع ذلك قام به الإسلام، فقد وضع الإسلام إطار العقيدة والأخلاق، وقامت الدولة الإسلامية في زمن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والإمام علي (عليه السلام) بصهر التجمعات والطوائف الإسلامية بمختلف مذاهبهم وعقائدهم إلى جانب أهل الكتاب بمختلف فرقهم حتى طائفة الزندقة الذين لا يقرون بدين عايشهم الإسلام فكانوا يعيشون جنباً إلى جنب المسلمين في عهد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وعهد أمير المؤمنين (عليه السلام).

وقد جعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اليهود أمة مع المسلمين كما ورد ذلك في الصحيفة التي تعتبر أول دستور للدولة الإسلامية وفتح الإسلام حواراً مع أهل الكتاب وقال: (لا إكراه في الدين)(٢)، وقال للقيادة الربانية: (لست عليهم

بمصيطر)(٣) وقال لرســـوله (صلى الله عليـــه وآله وسلم): (وما أنت عليهم بجبار)(٤) في تفصيل ذكرنا بعضه بادلته في الفقه.

ومن مسؤولية الكاتب الإسلامي، باعتباره يمثل جانباً من القيادة الفكرية فـــي الأمة أن يكون داعية لجمع الناس وأن يحث الناس على المسائل الثـــلاث التي ذكرناهـــا وهي حثّهم على التمسك بالعقيدة الناصعة والأخلاق الحميدة ودعوتهم إلى التعايش ونبذ الفرقة، وزجّهم فـــي المعترك السياسي ليصبحوا كياناً إسلامياً واحداً. وكل محور من هذه المحاور بحاجة إلى مجموعة مـــن الكتب حتى تتوضح الصورة لدى الأمة الإسلامية.

١ ــ سورة الأعراف: الآية ٤٣، سورة الحجر: الآية ٤٧,

٢ ــ سورة البقرة: الآية ٢٥٦,

٣ ــ سورة الغاشية: الآية ٢٢,

٤ ــ سورة ق: الآية ٤٥.

مظاهر غير إسلامية

السجون

قرأت في إحدى التقارير أنّ معدل المسجونين في أوربا لا يتجاوز عن واحد من ألف شخص، بينما ترتفع معدلات المسجونين في العراق شخص لكل أربعة وعشرين شخصاً. وفي بلدٍ ككوبا يبلغ المعدل شخص لكل ١٨ شخصاً.

والسجن هو أحد مظاهر الظلم والتعسف وزهق الحقوق، فأكثر المسجونين هم مسجوني القانون لا الواقع بمعنى أنّهم سجنوا بسبب سوء التقنين.

ومثال آخر الذين يدخلون بعض الدول بدون تأشيرة دخول أو الذي لم يكن له مال ليؤدي دينه يودع السجن. وهذا أيضاً يناقض مبدأ حقوق الإنسان الذي يتبجح به الغرب.

فالأول: هو حرٌّ في اختيار البقعة التي تناسبه فليس من حق أية قوة منعه من تحقيق اختياره.

والثاني: ماذا يفعل إذا لم يكن له مال، ولذا ورد في القرآن الكريم: (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة)(١).

والحديث في هذا المجال وسيع جداً، جئنا على ذكره في كتاب الفقه: الدولة الإسلامية.

وإنّما السبب في زج هذا الموضوع الآن هو دعوة الكتّاب الإسلاميين إلى تسخير أقلامهم للكتابة في هذا الموضوع الحيوي، حتى لا يبقى في السجون إلاّ القدر القليل من المسجونين الذين يتناسب جرمهم مع عقابهم، وبعد أن يتم سجنهم لهم من الحقوق ما لأي إنسان آخر، فالسجن ليس وسيلة للانتقام بل هو وسيلة للتأديب.

فكان على الكتّاب أن يرفعوا شعار الدفاع عن حقوق المسجونين، والمعروف أنّ حقوق المسجونين منتهكة في أرقى دول العالم تحضراً كما ذكرنا في كتابنا (الفقه: الدولة الإسلامية)(٢).

وقـــد قـــال الإمام الحسين (ع): (إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم)(٣).

فالمفترض مطابقة كل شـــيء ـــ ومنها السجون ـــ لموازين الشرع كما ذكره الفقهاء في كتاب الحدود(٤).

١ ـــ سورة البقرة: الآية ,٢٨٠

٢ ـــ راجع موسوعة الفقه: ج١٠١ ـــ ١٠٢، للإمام المؤلّف (دام ظله).

٣ ـــ كشف الغمة: ج٢ ص٥٠، اللهوف على قتلى الطفوف: ص,١٢٠

٤ ـــ لمزيد مـــن التفصيل راجـــع موسوعـــة الفقه: ج٨٧ ـــ ٨٨ كتاب الحدود والتعزيرات للإمام المؤلّف (دام ظله).

تلصص أجهزة المخابرات

خسرت البشريـــة الكثـــير مـــن حقوقها عندما خرجت من دائرة الرسالات السماوية وانضوت تحت نير المادية والنفعية، فنحن نجد هذه الخسارة واضحـــة حتـــى لدى الدول المتحضرة التي ظاهرها الرحمة وباطنها من قبلها العذاب. وقد عصفت بها المشاكل حتى بلغت القمة كما ذكرنا جانباً من ذلك في كتابنا الموسوم (الغرب يتغيّر) وكتاب (الرجوع إلى سنن الله تعالى) ومـــن أهم مـــا تعانيه البشرية اليوم هو تلصّص الأجهزة المخابراتية على حياتها.

وليس ذلك حصراً علـــى دولة معينة فجميع دول العالم تعاني من هذه الظاهرة غير الحضارية.

فالبلاد الشيوعية وقد انهارت ـــ والحمد لله ـــ كانت تعاني أشدّ ما يمكـــن مـــن ظاهرة التلصص، ففي ألمانيا الشرقية ـــ سابقاً ـــ التي لا يتجاوز عـــدد سكّانها عـــن ١٨ مليون نسمة ثلثهم كانوا يعملون في أجهزة المخابرات.

ولم تكن الدول الغربية المتحضرة بالحضارة المادية مستثناة عن هذه الظاهرة فما مـــن إنسان يدخل هذه البلاد إلاّ ويحس بأنه مراقب من قبل الأجهزة الاستخباراتية.

طبعاً في الغرب لا تحس بوجود شخص يطاردك كما هو الحال في دول العالم الثالث، بل هناك أجهزة تطاردك وتحصي أنفاسك. فأجهزة التصنّت المتطورة والكامـــيرات الصغيرة تنقل لأجهزة المخابرات كل تحركاتك حتى المخفية منها.

وهذا محور هام مـــن محاور الحديث عند الكتّاب الإسلاميين الذين يجب أن يهتموا بهـــذا الجانب كثـــيراً ويكتبوا في هذا الموضوع خدمة للبشرية التي تعاني من هذه الظاهرة. كما وأنّ على الكتّاب أن يكتبوا أيضاً حول نبـــذ الإسلام لهذه الظاهرة وسعيه جعل الإنسان مختاراً في ذاته لا يحقّ لأحد أن يتلصص عليه إلاّ في حالتين ذكرهما الفقهاء وهما:

١ـــ مع الأعداء.

٢ـــ مع موظفي الدولة كي لا يظلموا الناس.

فكان علـــى الكتّاب الإسلاميـــين فتح ملف هذا الموضوع بصورة مسهبة وفضح أساليب الغرب في مراقبة الإنسان من لحظة خروجه من بيته حتى عودته إليه، بل حتى مراقبته في بيته أيضاً.

كذلك علـــى الكتّاب بيان بعض الأمور لمنظمات حقوق الإنسان التي هي أشبه ما تكون بـــ(الديكور) في كثير من الأحيان فلا تتعرض إلـــى مسائل حقوق الإنسان وما تعانيه البشرية من انتهاكات في ظلّ النظام الغربي فالعديد من هذه المنظمات ليست إلاّ دوائر تعمل لخدمة بعض الدول وبعضها فائدتـــها محـــدودة لأنها ترى في الغرب الأمثولة الصالحة فلم تعتني بحقوق الإنسان الذي يعيش في الغرب.

الخوف من المستقبل

لماذا تحولت الحياة إلى هموم ومخاوف ؟، همّ الشباب من البطالة، وهمّ الفتيات وخوفهنّ من العنوسة، وهم الجميع من مشاكل الحياة المستقبلية، وخوف الناس من الجوع نتيجة عدم المال وخوف الآباء من مستقبل أولادهم، كيف يربون؟ وكيف ينشأون وخوف الكلّ من الحروب والفوضى وهموم ومخاوف أخرى وكثير من هذه المخاوف والهموم هي مجرد أوهام بحاجة إلى الكتّاب لفتح ملفاتها وتوضيح أسبابها ونتائجها، ثمّ الكتابة عن الحلول الناجعة لها، إذ غير الإسلام لا تملك العلاج كما شاهدنا في النصف الأخير من القرن الحاضر، رغم تصاعد التقدّم الذي جعل بمستطاع الإنسان أن يصل إلى القمر.

وعلّة تمكّن الإسلام من حلّ مشكلات البشرية هو كونه يؤمن بالعقل والنفس ويرى الإنسان مركباً من الجسم والروح، ويعتقد بضرورات الدنيا وضرورات الآخرة. ولما كان الغرب لا يهتم إلاّ بجزء من الكيان الإنساني وهو الجسم المادي فقط فهو إذا لا يستطيع أن يمنح إلاّ علاجاً جزئياً لذا ورد في الحديث الشريف: (إنّ الله سبحانه قال للدنيا أتعبي من تبعك)(١)، وقال تعالى: (ألا إنّ أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون)(٢).

فالخوف في الآية إشارة إلى المستقبل، أي لا يخافون المستقبل أمّا الحزن والهمّ ممّا من الماضي والحاضر ؛ وفي الخلاصة نقول: الإسلام رفع القيد عن العمل وأباح المباحات لكل فرد من الأفراد فعمل على محو آثار البطالة، وتسهيل أمر الزواج، فلا موجب لهمّ الفتيات، والخوف من الآخرة يوجب ترميم الحياة الدنيا ويمنع جذور الفساد من المجتمعات، كما وأنّ القناعة والتعاون والإقبال على الفضائل النفسية يوجبان عدم تحطّم الحياة الدنيا.

فعلى الكتّاب الإسلاميين أن يبينوا المشاكل والحلول، لعلّ الله سبحانه وتعالى يحدث بعد ذلك أمراً.

١ ــ من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٣٦٣ ب٢ ح٥٧٦٢، بحار الأنوار: ج٣٨ ص٩٩ ب٦١ وفيه (إن الله جل جلاله أوحى إلى الدنيا أن أتعبي من خدمكِ).

٢ ــ سورة يونس: الآية ٦٢.

من هدي الإسلام في التغيير

الدولة في المفهوم الإسلامي

الدولة في المفهوم الإسلامي هي الأبوة والتراحم، وقد جاء في رسالة أمير المؤمنين إلى مالك الأشتر: (ولا تكن سبعاً ضارياً تريد أكلتهم)(١)، فالحاكم الإسلامي هو أب وشعبه هم أبناؤه، وهكذا يتعامل معهم فإذا أخطأ أحد أبناء الشعب كأنما أخطأ أحد أبنائه فعليه أن يصفح عنه أو يعاقبه عقاباً تأديبياً.

وكما يقدم الأب أبنائه في تناول الطعام كذلك الحكومة الإسلامية فهي لا تشبع إلاّ بعد أن يشبع أبناء شعبها، هكذا كانت حكومة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهكذا كانت حكومة أمير المؤمنين (عليه السلام) أمّا في عصر الغيبة وغياب الإمام المعصوم فالدولة الإسلامية تكون على النحو التالي :

أولاً: أن تكون الدولة قائمة على الشورى، والرئيس يُنتخب بالاقتراع الحر، ويكون للناس الحق في ترشيح أنفسهم للرئاسة ضمن الموازين الشرعية.

ثانياً: عدم تدخل الدولة في شؤون الناس إطلاقاً إلاّ بقدر محدود وفي شؤون معيّنة بحكم ضرورة وجود الدولة كحفظ الأمن والقضاء وتقديم الأمة للأمام عندما لا تفي سائر المؤسسات الجماهيرية بذلك كالتعليم والتربية، والتنمية، وهكذا كانت دولة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو يعين رئيس العشيرة حاكماً على عشيرته أو يعيّن شخصاً واحداً كعتاب حاكماً على مكة، والعلاء الحضرمي حاكماً على البحرين إلى غير ذلك. أمّا بقية شؤون الناس فكان مرتبطاً بهم وحتّى أنّ المال الذي كان يجبى على شكل أخماس أو زكوات أو جزية كان يصرف في شؤون البلد أو العشيرة في المكان نفسه الذي يجبى منه، فإذا حصلت منه زيادة، فالزيادة تصرف في شؤون البلدان الأخرى بعد أن تُرسل إلى المركز.

وإذا ما درسنا الدول الديمقراطية لوجدنا الهيكلية نفسها في هذه الدول ولذا كان حال الناس محفوفاً بالأمن والرفاه والثروة والحرية، في إطار قوانينهم الموضوعة من قبل

عقلائهـــم، فالدولة في المفهوم الإسلامي وفي المفهوم الديمقراطي هي مؤسسة من المؤسسات لا أكثر ولا أقل.

أما فـــي دول العالم الثالث ومنها الدول الإسلامية فإنّ الدولة هي كل شيء كما كانت على العهود الوسطى فهي كما قال أمير المؤمنين لمالك: (سبعاً ضارياً)(٢). فهي تلتهم كل شيء، تلتهم أموال الناس ودماءهم وأتعابهم وجهودهم. ولا تريد من الناس أية مشاركة سوى المشاركة في التصفيق.

من هنا كان على الكتّاب الإسلاميين الاهتمام بهذا الموضوع والدعوة إلى حكومة إسلامية مستمدة من تعاليم أمير المؤمنين (عليه السلام) بالأخص تعاليمه إلى مالك الأشتر، لعل الله ينقذ البلاد والعباد من شرّ الحكام الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد.

١ ـــ من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٢٧٠ ح٢٤٠٩ ب,٢

٢ ـــ من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٢٧٠ ح٢٤٠٩ ب٢.

تساؤلات على طريق التغيير

لماذا ؟ كلمة استفهامية لهـــا أكثر من مصداق وأكثر من إثارة في وضعنا الحالي :

فإذا تسألنـــا ألف مرة ستبقى ثمة تساؤلات أخرى تفرض نفسها علينا بالأخص على كتّابنا الذين يتحمّلون مسؤولية كبيرة في الإجابة عليها ومعالجتهـــا العلاج الشافـــي، وإذا لم يتحقق ذلك فإن وضع المسلمين سيؤول إلى الأســـوء. وقد ذكرنا فيما سبق بعض المشكلة والعلاج، وهذا فهرست لبعض التساؤلات التي يجب الكتابة عنها :

ـــ لماذا كثير من المسلمين يعانون من انعدام السكن مع أن الأراضي الإسلاميـــة شاسعـــة جداً والأيادي العاملة كثيرة وخيرات الأراضي الإسلامية كثيرة ؟

ـــ لماذا يحدّد الحكام النسل ؟ وقد قال الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): (تناكحـــوا تناسلوا تكثروا فإنّي أباهي بكم الأمم يوم القيامة ولو بالسقط)(١).

ـــ لماذا يعيش الشباب من البنين والبنات بلا زواج ؟

أليس الزواج عبـــارة أخرى عـــن صيغة عقد بسيطة تضمن تلاقي شاب مع شابة لبناء عش الزوجية الرفيع ؟ فهذا يحتاج إلى تلك وتلك تحتاج إلى هذا، وإذا اجتمعا تفتحت الحياة على أفضل شكل.

وقد قال سبحانه: (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله)(٢).

ـــ لماذا المغالاة في المهور ؟ فهل الزواج تجارة أم انتهاز ؟

ـــ لماذا الأراضي بائـــرة، والزراعة تكاد تكون معدومة والاحتياج يزداد إلى الخارج فـــي كلّ شيء: الأرز واللحم والحنطة و. . . فلماذا البطالة مع أنّ مثلث: الأرض وخيراتها والزمن والأيدي العاملة يكفي لتوفير الأنشطة لكل عامل ؟

ـــ لماذا ضعف الحياة الصناعيـــة عند المسلمين، إذ كل الاختراعات هي لدى غير المسلمين، فهل لأنّ مخّ المسلم نصف مخّ غير المسلم، أو أنّ الله خلق المسلم بدماغ أصغر من دماغ غير المسلم ؟

ـــ لماذا يقف حكام المسلمين موقفاً مخالفاً للحج بصورة لا مثيل لها في الماضي والحاضر بالنسبة إلى سائر الأسفار. وقد حجّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أربعين حجة وعمرة(٣).

ـــ لماذا الرقابة على التأليف وعلى تأسيس المطابع والإذاعة والتلفاز، ولماذا إخراج المجلّة والجريدة ونشر الأشرطة والفيديوات تحتاج إلى إجازة.

ـــ لماذا هذه الحاجة إلى الجنسية والهوية والكارت الأخضر والأبيض وما شابه فهـــل الإنسان المسلم صار أسوء حتى من الفئران والجعلان والجراد والخفاش ؟

ـــ لماذا ملئـــت بلاد الإســـلام بالجواسيس مما لا يشابهه إلاّ البلاد الشيوعية قبل انهيـــار أوربا الشرقية والاتحاد السوفياتي، ويصرف على التجسس الشيء الكثير من ميزانيات البلاد.

ـــ لماذا الاحتيـــاج إلـــى الإجـــازة والضريبة في كلّ عمل صحيح كالزراعة والتجارة والصناعة والسفـــر والإقامة والعمارة وألف شيء وشيء.

ـــ لماذا الضرائب المرهقة حتّى على الأموات والولادات الجديدة ؟

ـــ لماذا الأرض تبـــاع وتشترى بالنسبة إلى الأراضي التي لم يحيها الإنسان ؟ وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (الأرض لله ولمن عمّرها)(٤).

ـــ لماذا سقط القانـــون الإسلامي: (من سبق إلى ما لم يسبقه إليه مسلم فهو أحقّ به)(٥) فيمنع حيازة المباحات ؟

ـــ لماذا امتلئت بلاد الإسلام بالمنكرات كالغناء والزنا والربا والقمار وآلة اللهو والخمر والسفور وألف منكر ومنكر ؟

ـــ لماذا المكوس والجمارك، وقد ورد: (اللهم العن العشارين)(٦).

ـــ لماذا الاستبـــداد والحكام يبقـــون إلى حين موتهم أو الانقلاب عليهم ؟

ـــ لمـــاذا لا يعطـــى للأحـــزاب الحـــرّة والمؤسّسات الدستورية والانتخابات الصحيحة فرصة لتأكيد وجودها ؟

ـــ لماذا تمنع الدول الإسلامية المبلغين من السفر وهم لا يحملون إلاّ رسالة الأنبياء في تبليغ رسالاتهم ؟

ـــ لماذا تكمّ الأفواه عن قول الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟

ـــ لماذا يسجن الأبرياء، الذين يعتبرون أبرياء وفق مبادئ الدين الحنيف ؟ ولماذا يتم تعذيبهم وإهانتهم ؟

ـــ لماذا يوضع الأُسَراء من المسلمين في معسكرات اعتقال لا تحضى بأقل قدر من شرائط الحياة الطبيعية ؟

ـــ لماذا تقدم غير المسلمين وبقي المسلمون في تأخر مستمر مع كل ما ورد في القرآن الكريم من الآيات الكريمة (وأنتم الأعلون)(٧)، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه)(٨).

ـــ لماذا الإعدامات في بلاد المسلمين وهي تنفذ بكثافة وبصورة مفجعة تقزز النفوس كالإعدام بالكرسي الكهربائي وتزريق المواد السامة في بدن السجين ؟ أو الإعدام بحد السيف وأمام الملأ أو في غرف الغاز كما هو الحال في العراق الجريح ؟

ـــ لماذا أكثر المسلمين من الفقراء وكثيرٌ منهم هو على حدّ العوز الشديد والحاجة الملحة ؟

ـــ لماذا لا يمتلك المسلمون الفرصة الكافية في التعليم كما يمتلكها غير المسلم ومن نتائج ذلك تفشي الجهل فيهم إلى حدّ كبير ؟

ـــ لماذا يتفشى المرض بين المسلمين بصورة لا سابق لها في كافة بلاد الإسلام منذُ أوّل الإسلام حتى قبل نصف قرن ؟

ـــ لماذا هذا العدوان على المسلمين، يطاردونهم في كلّ مكان حتّى داخل بلدانهم فيقتلونهم شرّ قتلة مثل ما حدث في العراق ؟

ـــ لماذا هذا التقاتل بين المسلمين أنفسهم مثل ما حدث بين العراق والكويت وإيران وأفغانستان ؟ أو بأيدي غيرهم كما في البوسنة والهرسك وكشمير وجيران إسرائيل وغيرها ؟

ـــ لماذا تلوّث البيئة حيث نجد ذلك في الكثير من العواصم الإسلامية كالقاهرة وطهران.

ـــ لماذا تهان كرامة المرأة في زجّها في بعض الأعمال غير اللائقة بها؟ ولماذا تحرم مـــن حقوقهـــا المشروعـــة فيحكم عليها بالجمود والجهل والتأخّر والعنوسة ؟

ـــ ولماذا الطلاق الكثير، وهل هناك سابقة في تاريخ المسلمين لمثل هذا العدد الكبير من المطلقات الذي تعج به البلاد الإسلامية المختلفة.

ـــ ولماذا ســـوء الأخـــلاق الذي نشاهده من الجميع إلاّ من خرج بالدليل ؟

ـــ ولماذا ضمور الروح في المجتمعات الإسلامية وتفشي الحالة المادية بشكل فضيع وكبير ؟

ـــ ولماذا تداعـــي حالة الوعـــي السياسي والاقتصادي والاجتماعي لدى المجتمعات الإسلامية ؟

إلى غير ذلك من التساؤلات التي لا تنتهي.

وكان على كتّابنا الإسلاميين أن يفتحوا الطريق أمام هذه التساؤلات ويضعوا الأجوبة المقنعة لها حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

وفي ختام هذا البحث نرفع أيدينا بالدعاء إلى العلي القدير أن ينقذ الأمة مـــن براثن الجهـــل والتخلّف، وأن ينقلهم إلى حياة سعيدة إنه الموفّق المستعان.

سبحان ربّك ربّ العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين.

١٢/ محرم/ ١٤١٦هـــ

محمد الشيرازي

---

١ ـــ سفينة البحار: ج١ ص,٥٦١

٢ ـــ سورة النور: الآية ,٣٢

٣ ـــ راجع كتاب (لكي يستوعب الحج عشرة ملايين) وكتاب (ليحج خمسون مليوناً) للإمام المؤلّف (دام ظله).

٤ ـــ الكافي (فروع) ج٥ ص٢٧٩، الاستبصار: ج٣ ص١٠٨ ب٧٢ ح٣، وفي الوسائل ج١٧ ص٣٢٨ ب٣ ح١ عن الإمام الصادق (عليه السلام).

٥ ــ غوالي اللئالي: ج٣ ص٤٨٠ باب إحياء الموات.

٦ ــ الاختصاص: ص,١٣٦

٧ ــ سورة آل عمران: الآية ١٣٩، سورة محمد: الآية ,٣٥

٨ ــ غوالي اللئالي: ج١ ص٢٢٦ ح١١٨، ح٣ ص٤٩٦، المناقب: ج٣ ص٢٤١، من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٢٤٣، نهج الحق: ص٥١٥ الفصل الحادي عشر، وسائل الشيعة: ج١٧ ص٤٦٠ ب١٥ ح٢.